الفصل السابع

جواسيس الموت

لدى القلائل من العملاء في الواقع ترخيص القتل الخيالي الذي أعطاه إيان فليمنغ لشخصية جيمس بوند الروائية . ومع هذا ، يبقى عمل التجسس مهنة مميتة ـ لا تقتصر على المحترفين فقط . . .

بوغدان ستاشنسكي : قاتل مأجور بضمير

اختبأ بوغدان ستاشنسكي في العتمة خارج شقة مؤلفة من أربع طوابق في ميونيخ ونظر مرّة ثانية الى ساعته . كانت حوالي الساعة الواحدة . ودخلت عندئذ سيارة إلى منطقة موقف السيارت ، ونزل منها رجل بمفرده . وأثناء ما كان يبحث في جيوبه عن المفتاح ليفتح باب الشقة ، تسلّل ستاشنسكي بهدوء ، وهو يمسك أنبوباً معدنيا أملساً بطول ٥٠ سم (١٩ إنش) وعرض ٣ سم ١,٢٥ انش في يده اليمنى ، وضغط على الزناد فانفجرت أنبوبة زجاجية في وجه الرجل . ترّنح الضحية وسقط على ظهره عندما أرسل رذاذ حامض البروسيك أبخرة مميتة دخلت رئتيه وقلصت أوعيته الدموية بعنف . وفي حوالي الساعة ١٣,٠٥ كان قد أصبح جثة هامدة . وتذكر بوغدان ستاشنسكي بندم ، أثناء عودته إلى موسكو حيث كان بانتظاره استقبال كاستقبال الأبطال ، الدقائق القليلة الثمينة التي كانت ستبقي على حياة الأوكراني المُهَجّر ستيفان باندیرا لو أنه تأخرها .

كان ستاشنسكي ، الشاب الوسيم البالغ من العمر ٢٧ عاماً ، يعمل كقاتل مأجور لدى الاستخبارات الروسية . وكان الأوكراني ذاك يتحدث الألمانية بطلاقة بفضل الاحتلال النازي لموطنه ، وقد تم تجنيده في الإستخبارات الروسية عندما كان في التاسعة عشر من عمره ـ بعدما ألقي القبض عليه وهو يستقل قطاراً دون أن يقطع تذكرة . وفي عام ١٩٥٧ . كان قد قام بعملية اغتيال مماثلة في ميونيخ أيضاً . حيث لقي ليف ريبيت مصرعه ، وكان أوكرانيا آخر معادياً للشيوعية ، أمام مكتبه . وجاء في التقرير بعد تشريح الجثة بأن الوفاة كانت ناجمة عن سكتة قلبية مفاجئة . وقد نجا ستاشنسكي من الأبخرة السامة لأنه تناول حبوب الترياق المضاد لها . وها هو يعاود القتل مرة ثانية في ١٥ تشرين الأول عام ١٩٥٩ . وبعد شهر واحد في موسكو ، قدمه رئيس الإستخبارات الروسية مع ترقية على نجاحه بتصفية «عميل حكومي هام» ، وكانت هنالك تلميحات أيضاً عن اغتيالات أخرى سيكلّف بها . وقال له رئيس الإستخبارات الروسية ألكسندر نيكولايفيتش شيليبين بأن عليه أن يتعلم اللغة الإنكليزية لتساعده في المستقبل على العمل «الصعب الشريف» .

في الحقيقة عرف ستاشنسكي مسبقاً بأنّه لم يعد قادراً على القيام بأي اغتيال آخر بهذا البرود . حتى أنّ محاولته الأولى لاغتيال باندیرا فشلت لأنّ ضميره أنبّه . فعندما رأى الهدف يقف بمفرده في موقف السيارات في شهر نيسان من عام ١٩٥٩ ، عاد أدراجه ثم ركض هارباً ، وألقى انابيب السُّمّ في النهر . وقال لرؤسائه عندما التقاهم في كارلشورست بأن شخصاً غريباً وصل عندما كان يهم بتنفيذ العملية ، فكان عليه أن يتخلى عن محاولته . وتمنّى ستاشنسكي أن تلغي الإستخبارات الروسية الإتفاق معه . لكنّ رؤساءه كانوا قساة القلوب ، وأصروا على أن باندیرا يجب أن يموت . وبعد خمسة أشهر ، أثناء ما كان ستاشنسكي يقف متوارياً عن الأنظار أمام الشقة المؤلفة من أربعة طوابق ، قرّر بأن يلغي محاولة الإغتيال ، ان لم يصل باندیرا في الساعة ١٣,٠٠ . لكن الأحداث أبت إلا أن تكون مأساوية ، فقد وصل الضحية أبكر من موعده بدقيقتين .

عاود الشقاء ستاشنسكي عندما شاهد فيلم إخباري قصير في إحدى دور السينما عن جنازة باندیرا ، وأثر حزن زوجته وأطفاله بالقاتل بشكل عميق . وأفصح عن ذنبه لإنغ بوهل ـ الفتاة التي وقع في حبها بعد لقائهما في كارل شورست . وأراد رؤساءه في الاستخبارات المركزية أن يتخلّى عنها ويتزوّج عميلة من زميلاته لتساعده في المهام المستقبلية . كانت إنغ تكره الشيوعية في سرها ، لكنّ الحبيبين اتفقا على إخفاء هذه الحقيقة لكي يستطيعا البقاء معاً . فتظاهرت باستعدادها للعمل مع الإستخبارات الروسية ، وتمت الموافقة على زواجهما أخيراً . لكنْ عندما حَبِلَتْ إنغ ، اعْتبر سادة الجاسوسية الطفل عائق ، وضغطوا عليها لتقوم بعملية إجهاض أو أن تسلّم الطفل لرعاية الدولة . وصمم الزوجان على الرفض ، وبدآ يخططها للهروب والإنشقاق .

ذهبت إنغ لتبقى عند والديها في برلين ، ووضعت مولوداً ذكراً في شهر آذار من عام ١٩٦١ ، لكنّ ستاشنسكي لم يستطع أن يحصل على اذن بزيارتها . وفي شهر آب ، اتصلت به إنغ لتخبره نبأ رهيباً . لقد مات طفلهما بمرض ذات الرئة . وسُمِحَ لستاشنسكي بالذهاب الى برلين لحضور الجنازة ـ بشرط أن يكون معه مرافق من الإستخبارات الروسية . إذ قيل له بأن الوفاة قد تكون خدعة قام بها رجال الإستخبارات المركزية الأمريكية للإيقاع به وتهريبه إلى الغرب . ومع هذا نفى

ستاشنسكي أن يفكر أي إنسان بهذا . كانت سيطرة الإستخبارات الروسية شديدة في المدينة ، لذا أدرك الزوجان بأنّ لديهما أملاً واحداً ـ بالهروب قبل مراسم الجنازة .

في مساء ١٢ آب ـ وقبل ٢٤ ساعة من حجب جدار برلين للمدينة الى الأبد ـ زحفا من منزل والدي إنغ ، ثم جريا مسرعين ، وجثما خلف سياج من الشجيرات ، محاذي لشارع فرعي بعيد عن أعين المراقبين الروس . وأخذا سيارة أجرة حتى سكة الحديد ، فاستقلا قطاراً إلى برلين الغربية ـ حيث ذهب ستاشنسكي مباشرة إلى نقطة الشرطة في تيمبلهوف ، واعترف عن شخصيته الحقيقية والأعمال التي قام بها . لم يصدق الألمان أو الأمريكيين في البداية قصته التي تثير الدهشة . وعندما تحققا من الأدلة التي قدمها ، بدأت أطراف الحقائق في قضيتي مقتل ريبيت وباندیرا بالترابط والوضوح . قُدّم ستاشنسكي للمحاكمة في شهر تشرين الأول ١٩٦٢ في كارلسروه . وكان موقفه رائعاً باعترافه للسلطات عن الجرائم التي اقترفها ، فأوضح للمحكمة بأنّه أراد أن يريح ضميره «ويكشف للرأي العام العالمي عن الكيفيّة التي كانت تتم بها ممارسة «التعايش السلمي» في الواقع» .

بعد أن أقرّ الأطباء النفسيون بأنّ القاتل المحترف كان بكامل قواه العقليّة ، أصدر القاضي ـ الذي استشار عائلات الضحايا ـ حكمه بسجن ستاشنسكي ثماني سنوات كونه شريك في جرائم الإغتيال . وقال : كان المدّعى عليه سيصبح مدرساً ـ «وهو المحب للسلام بطبيعته» ـ «لو لم يعمل مع النظام السوفييتي الذي يعتبر الإغتيال السياسي بالنيابة عن الدولة كضرورة أساسية» . وتابع القاضي قوله : «إنّ ذنب أولئك الذين تلقى منهم أوامره أكبر بكثير من ذنبه . فالإستخبارات الروسية لم تَعُدْ تقوم بالاغتيالات على هواها ، بل تتم جرائم الإغتيال الآن بناءً على أوامر حكوميّة . ويمكننا القول بأنّ الأغتيال السياسي قد أصبح جزء أساسياً من السياسة» .

كان قادة الكرملين مذعورين ، بعدما عرفوا بأنّ العالم عَلِمَ بأنّ الناس يُقتلون في زمن السلم بناءً على أوامر صادرة من المكتب السياسي . فقد حاولوا تغيير الصورة بعد اغتيالات أنصار ستالين في الداخل والخارج ، وأصرّوا وقتها أن لا تتم

الإغتيالات السياسيّة إلا بناء على أوامر خطية مباشرة صادرة عن اللجان المركزيّة للحزب الشيوعي . وقد انقلبت هذه السياسة عليهم الآن .

أخبر المنشقون الغرب بأنّ محاكمة ستاشنسكي قد تبعها تغيير كبير في الإستخبارات الروسية وقيادة الحزب . فقد تم تنزيل رتبة وإعدام حوالي (١٧) ضابط على الأقل . لكن بدا واضحاً خلال وقت قصير بأن نيكيتا خروتشيف ورؤساء المكتب السياسي لم ينتهوا عن عمليات القتل ، ووضح بأنهم كانوا مهتمين بمصالحهم الشخصية فقط . إذ تمّ إيقاف برامج الإغتيال ، لكن لم يتم التخلي عنها . فصدرت الأوامر بأن يتم استئجار القتلة الأجانب الذين لا علاقة لهم بالاتحاد السوفييتي في العمليات المستقبلية . وتم إعطاء الأوامر للعلماء والصيادلة المخبرين في كوتشينو ـ خارج موسكو ـ بأن يتابعوا بذل الجهود لاكتشاف أساليب جهنمية لا يمكن اكتشافها لإظهار عملية الإغتيال وكأنها وفاة طبيعيّة .

المظلّة المشؤومة

شَعَرَ غورغي سيرغيفيتش أوكولوفيتش بالرعب عندما فتح باب شقته في مدينة فرانكفورت في ١٨ شباط ١٩٥٤ ، ورأى شخص روسي ضخم يقف في مواجهته . وكان أوكولوفيتش ـ زعيم مجموعة اللاجئين السياسيين السوفييت المعادين للشيوعية ـ قد نجا من محاولتي اختطاف سابقتين . وبدا أن حكومة موسكو قد قررت التصرّف بعنف . إذ كان الزائر ـ الذي عرف عن نفسه باسم نيكولاي تشوتشلوف ـ قد تلقى أوامر خطية من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ليقوم باغتيال أوكولفيتش . لكن بعد أن أظهر لضحيته ضماناً من الموت ، طلب تشوتشلوف منه أن يتصل بالسلطات المختصة في ألمانيا الغربية . وتصدّرت أقواله عناوين الصحف في جميع أنحاء العالم .

كان تشوتشولوف ، المحارب القديم في الإستخبارات ، قد أرسل المئات من الرجال إلى أوروبا الحرة ليقوموا باغتيال أو اختطاف منتقدي سياسة الكرملين والهاربين من النظام الروسي . لكن عندما صدرت الأوامر إليه شخصياً بتنفيذ «عمل خطير» ـ مهمة تجسسية لتصفية عدو للدولة ـ عرف بأنها كانت فرصته للهروب . واعتقل رجال مكافحة التجسس في ألمانيا وأمريكا معاونيه . من ثم

قادهم تشوتشلوف إلى غابة خارج ميونيخ ، حيث كان مخبأ داخل بطارية سيارة ما بدا وكأنه علبه سجائر ذهبية . وأوضح تشوتشلوف حقيقة استخدامها ـ كمسدس كهربائي كاتم للصوت يطلق رصاصات مَطْليّة بمادة سيانيد البوتاسيوم .

أنكرت الإستخبارات الروسية في باديء الأمر علاقتها بعميلها السابق . وصرحت موسكو بأن قصته كانت من تلفيق الإستخبارات المركزية الأمريكية ، وأنه كان من أقرباء أوكلوفيتش وأنها من مجرمي الحرب النازية . وعندما تابع تشوتشلوف تصريحاته ، تمّ اتخاذ خطوات إجراءات اجرامية أخرى . ففي شهر أيلول من عام ١٩٥٧ ، انهار أثناء اجتماع في فرانكفورت من جرّاء آلام في معدته وإحساسه بالغثيان . وخلال أيام من دخوله المستشفى ، غطّت جسده خطوط وبقع بنية غامقة وانتفاخات زرقاء وسوداء ، وسال دمه من خلال مسامات جلده المتشقق والناشف ، وتساقط شَعْره .

لما شكّ الأطباء الألمان بأنه تسمم بمعدن الثاليوم السام ، حاولوا كل أنواع العلاج المعروفة دونما نجاح ملحوظ . وقيل لأوكولوفيتش بأن لا أمل يرجى من شفاء الرجل ـ بعدما تفتت عظام الضحية وتخثّر دمه . لكن اللاجيء السياسي الروسي رفض أن يستسلم للأمر الواقع ، وتقدّم إلى مشفى أمريكي محلي طالباً منهم أن يتولوا القضية . فبدأ ستة من الجراحين العسكريين البارزين معالجة الضحية على مدار ساعات اليوم في معسكر عسكري أمريكي عليه حراسة مشدّدة . وأبقت حقن الكورتيزون والفيتامينات والبروتينات والعقاقير الإختبارية ، إضافة لعمليات نقل الدم المتواصلة ، على حياة المريض لمدة أسبوع . وبدأت صحّته تتحسن بشكل بطيء وإعجازي إلى حدّ ما . وزالت الخطورة عن حياته في أواخر شهر تشرين الأوّل ، لكنّه أصبح أصلعاً .

اكتشف خبراء السموم سبب الصعوبة التي واجهوها في محاولتهم لشفاء تشوتشولوف . لقد تم تسميمه بالثاليوم الذي تم تعريضه لإشعاع ذري شديد ، مما جعل المعدن ينحل على الفور في دورته الدمويّة ؛ مدمراً الكريات البيض في دمه ومجففاً السوائل الحيوية في جسده . لقد كان تشوتشولوف أكثر من محظوظ لنجاته ، إذ لم يكن ضحايا الهجوم السُّمي من الجبهة الشرقية بعده بمثل حظّه .

في مساء ٧ أيلول ١٩٧٨ ، كان غورغي ماركوف ينتظر وصول الحافلة على

جسر واترلو بلندن بعد انتهائه من العمل في مبنى هيئة الإذاعة البريطانية المجاور . فشعر فجأة بألم حاد في فخذه . ولما التفت رأى رجلاً يلتقط مظلة كانت قد وقعت منه على ما يبدو . تمتم الرجل باعتذار قبل أن يقفز في سيارة أجرة . وذهب ماركوف إلى منزله ليتناول وجبة غداء هادئة مع زوجته . ولما حان موعد النوم ، بدأ يشعر بأنّه لم يكن على ما يرام ، وذَكَر لها لأول مرة حادثة المظلّة . وحوالي الساعة الثانية صباحاً ، وصلت درجة حرارته إلى حد غير معقول ، واندفعت به سيارة إسعاف الى المستشفى ـ حيث مات فيها بعد أربعة أيّام .

أثارت الحمى الغامضة وحالة الغثيان التي أصابته حيرة الأطباء في باديء الأمر . ثم كشف تشريح دقيق لجثته باستخدام العدسة المكبّرة عن وجود كرة معدنية متناهية في الصغر يصل قطرها الى ١,٥٢ ميليمتر فقط . وكانت الكرة المصنوعة من مزيج البلاتين والإريديوم ، والمستخدمة في المحركات النفاثة ، قد تم ثقبها بفتحتين متصلتين بالغتي الدقة يصل عرض الواحدة منهما ٠,٣٥ مم . وقد تمّ ملؤهما بمادة الريسين[1] ، وهو مُنْتَجْ ثانوي في صناعة استخراج الزيت من نبات الخروع ، وتصل درجة سُميّته إلى ضعف قوة سم أفعى الكوبرا الرعاف . ولم يكن يوجد وقتها ترياق معروف يمكن أن يشفي منه .

وجد رجال التحرّي استحالة في ملاحقة أثر سائق سيارة الأجرة ، أو إيجاد شاهد من موقف الباص . لكنهم شكلوا تصوراً بعد جهد جهيد عمّا حدث . واقتنعت اللجنة المكلفة بالتحقيق بالحكم الذي أصدرته في جريمة القتل غير القانونية .

كان غورغي ماركوف مؤلفاً وكاتباً مسرحياً بلغاري الأصل ، هرب من موطنه في شهر حزيران من عام ١٩٦٩ ـ بعد أن أزعج عرض مسرحي ساخر ؛ قام بكتابته ، السلطات هناك . وأصبح مذيعاً في الغرب ، ولم يخشى مطلقاً البوح بما كان يدور في رأسه من خلال البرامج الإذاعية الموجهة للكتلة الشرقية من كل من بريطانيا وألمانيا الغربيّة . وقالت أرملته للجنة التحقيق :«لقد كره النظام السياسي» . ولقد تزايد كره النظام البلغاري لهجماته الإذاعية ـ في الوقت الذي كانت فيه بلغاريا تعتبر أكثر البلدان الخاضعة للسيطرة السوفييتية الستالينيّة . وفي شهر آب من عام ١٩٧٨ ، سافر قاتل مأجور إلى أوروبا الشرقية للقيام بمهمة مزدوجة . إذ أطلق أنبولة اخترقت ظهر المذيع البلغاري فلاديمير كوستوف خلال

جولة قطار الأنفاق . كان كوستوف محظوظاً ـ إذ أن مدة صلاحية السم ، الذي تم تصنيعه في تشيكوسلوفاكيا والمجر ، كانت منتهية ـ فَنَجا من الموت بعد صراع مرير مع المرض في المستشفى .

بعد أسبوعين من تلك الحادثة ، لم يكن هنالك مجال للخطأ على جسر واترلو فلم يلاحظ أحد الطلقة التي أصابت ماركوف ، والتي تمّ إطلاقها بمُسَّدس زرع بشكل مخفي في رأس المظلّة . وتمتم الضحية : «لقد تمّ تسميمي ، تمّ اغتيالي» ، أثناء ما كان الريسين السام يضاعف عدد الكريات البيض في دمه . ولولا ما حدث لما عرف الغرب عن أسلوب اغتيال شرير آخر اخترعته الكتلة السوفييتية .

اعتقد رجال الاسكوتلانديارد بأنّ عملية الإغتيال السياسي قد تم التخطيط لها من قِبَل عملاء الجاسوية البلغار بشكل مستقل ، وادعت مصادر وايتهول بأن الروس كانوا متضايقين من الدعاية السيئة التي سببتها . وتذكر ملاحقي الجواسيس في الغرب أوامر المكتب السياسي التابع للحزب الشيوعي التي تلت انشقاق ستاشنسكي ، فبدؤوا يعيدون تقييم ظاهرات «وفاة طبيعية» مفاجأة أخرى . وكانت واحدة منها بالذات تهمّ رؤساء الأمن على الدوام .

ففي ١٨ كانون الثاني ١٩٦٣ ، مات هوغ غايتسكل ـ الزعيم المعتدل في حزب العمال البريطاني ـ في المستشفى بسبب التهاب جلدي خبيث عضو وإجهاد في عضلة القلب وتوقف عمل الكليتين . وكانت حالته نادرة الحدوث بين الرجال الذين تجاوزوا سن الأربعين في المناخات المعتدلة . ومع هذا فقد حصل كل هذا مع غايتسكل البالغ من العمر ٥٦ عاماً في أقل من شهر بعد خروجه من المستشفى حيث كان يعالج من مرض ذات الرئة الفيروسي . وأخبر المنشق السوفييتي أناتولي غوليتسين المحققين بأنّ رؤساء الإستخبارات الروسية المسؤولين عن القسم الأوروبي الشرقي ذكروا ، قبل هروبه ، خططاً أعدت لاغتيال زعيم حزب معارضة . واكتشف عملاء مكافحة التجسس في بريطانيا بأنّ غايتسكل زار السفارة الروسية في لندن للحصول على تأشيرة للسماح له بالقيام برحلة إلى موسكو قبل وفاته بوقت قصير ، وقد تم تقديم القهوة والكعك له هناك .

لم يستطع الخبراء في معهد الأبحاث الحيوية المجهرية البريطاني ، في منطقة بورتون دون في ويلتشاير ، أن يحدّدوا سبب المرض ـ لكن سيد الجاسوسية في

Mr and Mrs Gaitskell

ـ السيد والسيدة غاتيسكل .

الإستخبارات المركزية الأمريكية جيمس أنغليتون اكتشف صحفاً طبية سوفييتية تعلن عن نجاح تجارب تمت في مجال العقاقير التي يمكن أن تسبب توقف القلب وتعطل الكلى . ورغم أن أرملة غايتسكل وغالبية زملائه ظلوا مقتنعين بأن وفاته كانت طبيعية ، فإن سادة الجاسوسية ؛ بما فيهم رئيس مكتب مكافحة التجسس في بريطانيا السير مارتين فيورنيفال جونز ، بقيوا على شكّهم . كان غايتسكل قد حارب طويلاً وهو يقف في وجه تحول الحزب إلى اليسار السياسي . وتحت زعامة خلفه ، تباهى الماركسيون المتطرفون بآرائهم ضمن اجتماعات الحزب .

هيرمان ليودك :

أدميرال خائن في أسطول حلف شمال الأطلسي البحري :

تَلَقَّى الأمريكيون ، الذين اعتادوا على اعتبار الجواسيس السوفييت كأشخاص سيئين في حرب الجاسوسية العالمية ، صدمة عنيفة عندما كشفت تحقيقات حكومية في عام ١٩٧٥ عن أنّ الإستخبارات المركزية الأمريكية كانت تستخدم عملية الإغتيال السياسية كإحدى أسلحة السياسة . إذ أقسم شهود أغلظ الأيمان على أن اغتيالات رئيس الكونغو باتريس لومومبا وزعيم جمهورية الدومينيكان رافائيل تروجللو والفييتنامي الجنوب نغو دينه ديم كانت كلها من تدبير وكالة الإستخبارات الأمريكية . وأخبر مصادر التجسس رجال الإعلام بأن فريق الإستخبارات المركزية الأمريكية المكلف بعمليات الإغتيال كان في بيروت يحاول اقتناص كيم فيلبي عندما اختفى سيد الجاسوسية في شهر كانون الثاني من عام ١٩٦٣ . وقال أحد العملاء : «لقد سبق رجالنا المكلفين باغتياله بخطوة واحدة» . هزّت هذه الأنباء أرجاء واشنطن . وعلّق السيناتور فرانك تشرتش ، الذي ترأس إحدى لجان التحقيق ، بالقول : «إن بلادنا ليست بلاداً لئيمة ، ولا يمكننا أن نتحمّل حكومة مراوغة» . وتم إدراج أكثر من ٢٠٠ فاتورة قانونية كإثباتات للضغط على الإستخبارات المركزية الأمريكية . وسببت التكشفات الجديدة عن تبديد الغموض الذي أحاط بحادثة وفاة قبل سبع سنوات عندما نزلت ضربة بالخطوط العسكرية لحلف شمال الأطلسي بسبب فضيحة أحد الجواسيس .

بدأت أحداث الواقعة في ٢٧ أيلول ١٩٦٨ داخل محلّ للتصوير في بون عاصمة ألمانيا الغربية . وبدا أنّ الفيلم الذي يتم تظهيره كان مجرد عمل روتيني في باديء الأمر ـ إذ أظهرت مسوّدة الفيلم لقطات لعائلة أثناء فترة راحتها . ثمّ وقع نظر الفني على صور فاضحة لشقراء عارية . لكن ما جعله يشعر بالذ عر ، كان في الواقع مسودات صور لتسعة أوراق مطبوع عليها : «حلف شمال الأطلسي ـ سري للغاية» ، وكان أكثر تصنيفات الحلفاء سريّة . واتصل المساعد العامل في الغرفة المظلمة بالشرطة ، الذين اهتموا على الفور بما سمعوه منه ـ لأن الشخص الذي ترك شريط الفيلم في المحل كان الأدميرال البحري هيرمان ليودك ، ثاني أكثر الرجال

ـ سفينة في اسطول حلف شمال الأطلسي تطلق صاروخ بعيد المدى .

نفوذاً في مقر رئاسة قوى الحلفاء في أوروبا ، والمسؤول عن تجهيز الإمدادات العسكرية التابعة لحلف شمال الأطلسي في أوروبا الغربية والشرق الأوسط . وكان يعرف مواقع تخزين الصواريخ والنفط والأسلحة والمؤن بالضبط ، وكيفية استخدامهم في حالة نشوب قتال . كما كان يعرف مواقع خطوط الأنابيب السرية وحقول الألغام المُصممة لصد هجوم سوفييتي . وقد وضعت الصور الآن موضوع ولائه في موضع الشك .

تم استدعاء الضباط المسؤولين عن مكافحة التجسس على الفور ، فأوقعوا بليودك على الفور . وأثناء ما كان يتم تظهير الفيلم ، كان هو جالساً في مأدبة أقامها على شرفة كبار ضباط حلف شمال الأطلسي الذين كانوا يعددون مناقبه قبل إحالته على التقاعد في سن (٥٧) سنة بسبب مرضه . وانتظر ملاحقوا الجواسيس حتى انتهاء احتفال التوديع ، ثم تنحّوا جانباً بأدميرال البحرية وأدخلوه في غرفة جانبية ، وواجهوه بالصور . وقد تعرّف مباشرة على صور عائلته ، واحمرّ وجهه خجلاً لما رأى صور الفتاة الفاضحة ، ثم نظر بهلع إلى صور الأوراق السريّة ، التي ترافقت بثلاثة صور لرقم سيارته . أنكر ليودك بأنه قام بالتقاط الصور التي تدينه ـ وهي الاثني عشر صورة الأولى على شريط الفيلم . وكان تبريره الوحيد ، خلال تحقيق طويل تلك الليلة واليوم التالي ، بأن أحدهم كان يحاول أن يلفق له تهمة . ووافق على

تفتيش منزله خارج مدينة بون ، الذي لم يكشف عن شيء يثير الريبة . ثم ذهب بالسيارة ـ بناءً على موافقة رسمية ـ إلى مكاتب مقر رئاسة قوى الحلفاء في أوروبا ، في مدينة مونز ببلجيكا ، لإيضاح موقفه . وقال لزملائه هناك بأنه كان ذاهباً في رحلة للصيد . فكانوا آخر من رآه على قيد الحياة .

في الساعة ١٦,٣٠ من بعد ظهر يوم ٨ تشرين الأول ١٩٦٨ ، وجد مزارع جثّة رجل ، يرتدي ملابس صيد خضراء اللون ، ممددة بجانب سيارة في منطقة إيميراث قرب تلال إيفل . وكانت تلك جثة ليودك نفسه ، وقد قتلته طلقة من مسدسه الموزر[1] . ورغم أن الجرح كان في قاعدة عموده الفقري ، إلا أن فحص الجثة أقرَّ بأن لا أحد كان متورطاً في الوفاة . إذ أنها كانت محاولة انتحار أو حادثة سببها إلقاء المسدس باهمال الى مقعد السيارة الخلفي دون إحكام إغلاق مسمار الأمان فيه . وقد أذهل ذاك الرأي الطبيب المحلي الذي كان أول من قام بفحص الجثة . وادعى الكاتب دايفيد لويس ، الذي تحرى إمكانية ذلك أثناء بحثه في موضوع كتابه «التجسس الجنسي» ، بأنّ الوفاة كانت مستحيلة بهذا الشكل . لكن إذا كان لودك قد اغتيل ، فمن الذي اغتاله ؟ ولماذا ؟ .

كان مصرع أدميرال البحرية واحداً من ١٣ حالة أذهلت حلف شمال الأطلسي في الأيام التي تلتها . فَقَبْل خمس ساعات من اكتشاف جثته ، أطلق الجنرال هورست فيندلاند ، نائب رئيس مكتب مكافحة التجسس في ألمانيا الغربية ، النار على نفسه في مكتبه بمدينة بولاخ . وبعد عشرة أيام ، لحق الملازم الكولونيل جوهانز غريم بمثيله في مكتبه بوزارة الدفاع الألمانية ، حيث كان مسؤولاً عن خطط تحركات الآليات الحربية . وتناول الموظف الإتحادي إديلترود غرابينتين جرعة زائدة من الحبوب المنومة في ١٤ تشرين الأول . وفي نفس اليوم ، شنق الموظف في وزارة الإقتصاد هاينز هنريك شينك نفسه في شقته بمدينة كولون . وبعد أسبوع ، تمّ انتشال جثة العامل في وزارة الدفاع «غيرهارد بوهم» من نهر الراين قرب مدينة بون . وأرجعت آراء رجال الشرطة أسباب حالات الإنتحار كلها إلى مشاكل شخصية أو قلق صحي أو يائس لعدم الحصول على ترقية . لكنّ استخبارات مكافحة التجسس لدى دول حلف شمال الأطلسي عرفت الأسباب الحقيقيّة . فقد ربطوا حالات الوفاة إلى اختفاء ستة من العملاء الألمان الشرقيين

(١) الموزر : نوع من المسدسات

المعروفين الذين هربوا إلى المعسكر الغربي بعد وصول منشق تشيكوسلوفاكيا إلى الغرب .

استغلّ الجنـرال جان سيجنا الإضطراب الذي حصل في براغ ، من جرّاء الغزو السوفييتي في شهر آب من عام ١٩٦٨ ، للهرب . ومقابل حصوله على حق اللجوء السياسي ، كشف مدى اختراق الإستخبارات الروسية لدفاعات حلف شمال الأطلسي . وقرر الروس أن يعوضوا خسارتهم بنصر دعائي ، بعدما أدركوا بأن شبكاتهم التجسسيّة أصبحت في خطر . فبإظهار أن حلف شمال الأطلسي كان «مرتعاً للخونة» ، كان بامكانهم زعزعة ثقة الرأي العام والتسبّب في نزاعات بين (١٤) دولة أعضاء فيه . إذ كان زرع اسفين الشقاق بين أمريكا وألمانيا يمكن أن يضعف التعاون والفاعلية في دفاع الغرب . وكان ليودك هو ذاك الإسفين .

لم يشك المصوّر الهاوي المتحمس بشيء عندما دعته فتاة فرنسية شابة جميلة إلى شقتها في شارع سانت أونوريه بعد ساعات قليلة من لقائه في نادي ليلي بباريس . واتخذت أوضاعاً مناسبة لالتقاط الصور لها برضاها قبل أن يمارسا الحب ، واستمتعا بعدة ليال أخرى في ربيع عام ١٩٦٦ . ثمَّ واجه عملاء الإستخبارات الروسية ليودك بالصور التي لم يقم بالتقاطها . وتمّ تحذيره من أن ملفاً ضخماً عن أعماله الفاضحة يمكن أن يقدّم إلى زوجته وأطفاله الخمسة ما لم يتعاون . فوافق على مضض على الطلب المبدئي لمعلومات ليست بذات قيمة كبيرة ؛ فتم تسليمه الصور السلبية للقطات الجنسيّة التي تدينه . لكنّ لقطات أخرى كانت قد صوّرت أثناء الحدث . وأصبح التهديد الآن بأن عمله في حلف شمال الأطلسي سيضيع منه ما لم يقوم بتسريب أسرار أخرى . وخلال عام كامل ، تقدّم الروس ببضعة أوامر . وعندما أمر الرئيس ديغول بخروج مقر رئاسة قوات الحلفاء في أوروبا من فرنسا ، كان على الطائرات التابعة لحلف شمال الأطلسي أن تقوم ببرنامج مكثف لنقل المكاتب والملفات إلى مراكز جديدة في بروسلز ومونز . وصدرت الأوامر من الإتحاد السوفييتي إلى ليودك كي يبقيهم على إطلاع بكلّ التطوّرات وأن يقوم بتجنيد جواسيس جدد في بلجيكا ، بعد أن تخوفوا من انهيار اتصالاتهم التي بنوا شبكتها من قَبْل .

ومع حلول شهر نيسان من عام ١٩٦٧ ، تمركز كبار ضباط حلف شمال الأطلسي في قواعدهم الجديدة ، لكن الضغط لم يتوقف عن ليودك . ولما تمّت إضافة أبحاث الأسلحة الى اختصاص دائرته ، طلب الكرملين منه أن يعلمهم كل شيء يتعلّق بها . كما صدرت الأوامر اليه بأن يُرى عملاء سوفييت أداة التوجيه من صواريخ هوك الجديدة الموجهة . وخاطر في الخفاء بسرقة الآلة وتسليمها في موعد سري . وبعد أن قام خبير في الإليكترونيات بفحصها ، قيل لليودك بأن يعيد الأداة . لكنه رفض ، وقال بأن تصرّفاً كهذا فيه خطورة كبيرة . فقام الروس بدفنه في مجمع قمامة آحدى القرى .

أثّر إجهاد العمل التجسسي على صحة ليودك ، وتلقى نصيحة الأطباء بالتقاعد المبكر كمنفذ لنجاته من المصيدة التي وقع فيها . لكن السوفييت لم يكونوا قد فرغوا من متطلباتهم التي كان يقدمها لهم . فقام عميل باستعارة آلة تصويره واستبدل نصف الفيلم المصوّر بصور تدينه ولقطات لوثائق سرية أخذت قبل سنة ورقم سيارة ليودك . ولم يكن لدى الأدميرال البحري أي مبرر كي يشكّ بعملية التخريب ، فعندما استخدم آلة التصوير ثانية ، كان مؤشر الصور يقف على اللقطة رقم ١٢ . فأنهى شريط الفيلم بالتقاط صور لآخر عشيقاته ولعائلته قبل أن يسحب الفيلم من آلة الكاميرا لتظهيره ، غير عارف بأنه يقدّم دليل الفضيحة التي كلفته حياته .

في البداية ، وقع الشك على الإستخبارات الروسية بأن يكونوا وراء اغتياله . لكن هذا لم يكن منطقياً . فلماذا يطلقون النار عليه قبل محاكمة يمكن أن تسبب الإحراج للغرب كله ، بعدما تكلفوا عناء توريط ليودك بالعمل كجاسوس ؟ فلم يكن في صالح أحد سوى مكتبي مكافحة التجسس في ألمانيا الغربية وأمريكا أن تتم عملية اغتيال أعلى الخونة رتبة بين الجواسيس العاملين في حلف شمال الأطلسي . وبعد الكشف عن أقوال الشهود في جلسة سماع الأقوال في واشنطن عام ١٩٧٥ ، تنامى الشكّ بأنّ الإستخبارات الألمانية الغربية والإستخبارات المركزية الأمريكية قد اختارا أيسر السبل للإبتعاد عن أزمة سياسية وحِفْظ ماء وجوهِهِمْ .

باستر كراب : الغطاس المختفي

حُظرت عمليات الإغتيال على العملاء البريطانيين في عام ١٩٥٦ عندما انتقل السير ديك وايت من مكتب مكافحة الجاسوسية العسكرية في بريطانيا ليصبح سيد جاسوسية في مكتب الإستخبارات العسكرية البريطانية . وتشاء سخرية القدر أن يكون التحرك بسبب مغامرة جريئة فشلت في مهمتها للحصول على سرّ تجسسي ـ ونَجَم عنها مصرع أحد رجال الضفادع البريطانيين .

كان لدى رئيس الوزراء السير أنطوني إيدن آمالاً عريضة بإذابة صقيع الحرب الباردة عندما وافق الزعيمان السوفييتيان نيكولاي بولغانين ونيكيتا خروتشيف على زيارة لندن في شهر نيسان من عام ١٩٥٦ . وأصدر أوامر تقضي بعدم القيام بأي محاولة للتجسس على السفينة الحربية « أورزو نيكيدز» ، ـ التي كانت سَتُقِلّ الرُّوسِيَّين إلى بورتسماوث . لكنّ الإستخبارات البحرية والإستخبارات العسكرية لم يستطيعا مقاومة الفرصة التي أتيحت لهما . فركب الجنود راداراً داخل كهف في التلال الصخرية المشرفة على «دوفر» ومركزوا غواصة في قاع البحر لتتجسس على السفن الحربية الضخمة أثناء اقترابها من الساحل ووافقت الإستخبارات العسكرية على عرض أحد أبطال الحرب ويُدعى ليونيل باستر كراب بأن يغوص تحت السفينة الحربية ليقوم بفحص هيكلها عن قرب .

كان كراب رجل ضفادع خبير وجريء ، وقد حصل على وسام الملك جورج خلال الحرب العالمية الثانية لقيامه بإزالة الألغام الملتصقة عن السفن الحربية البريطانية . ورغم بلوغه السادسة والأربعين من العمر ، وغير كفؤ للقيام بهذه المهمة بسبب تقدّمه في السن ، إلا أنه كان ما يزال ممتلىء شجاعة وجاهزية لمواجهة تحديات جديدة . وفي يوم الثلاثاء ١٧ نيسان ، حجز في فندق سالي بورت الواقع في قلب مرفأ بورتسماوث مع رجل غامض سجّل نفسه في قائمة الفندق تحت اسم بيرنارد سميث . وأمضى الأيام التالية بالقيام باختبارات غطس في الميناء ، وعندما وصلت سفينة الأوردزو نيكيدز في ١٩ نيسان ، نزل ثانية في المياه بعد غروب الشمس بقليل . وعاد بعد دقائق وهو يشتكي من صعوبات في جهاز التنفس . لكن بعد إجراء الإصلاحات ، سبح ثانية مبتعداً باتجاه السفينة الحربية ، ولم ير بعدها على قيد الحياة أبداً .

أبحرت الأوردز ونيكيدز والسفينتين المرافقتين لها عائدين لموطنهم قبل أن يتم تحرير أول الأخبار الرسميّة عن اختفاء كراب ـ بعد أسبوع من الحادث . وقيل في تصريح بأنّه «من المفترض أن يكون قد لقي حتفه بنتيجة التجارب التي جرت على معدات تستخدم تحت المياه» . ولدى الضغط عليه لإعطاء تفاصيل أخرى في مجلس العموم ، صرّح السير أنطوني إيدن بالقول : «لن يكون في الصالح العام أن لا تقوم بالتعتيم على الظروف» . وصَعَّد هذا التصريح من الغموض الذي ازداد مع زيادة رجال الشرطة لفندق سالي بورت واقتطاعهم الورقة التي تثبت وصول كراب وسميث من سجلات الفندق .

وفي ٩ حزيران ١٩٥٧ ، دفعت الأمواج جثة بلا رأس على بعد ١١ كم (٧ أميال) شرقي سواحل بورتسماوث . وكانت تلك الجثة ترتدي ملابس رجل ضفادع مماثلة لتلك التي ارتداها كراب . وكان عليها آثار جروح ملتئمة وميزات خاصة تعرفت عليها أرملة كراب وقالت بأنها مماثلة للعلامات الفارقة التي على جسد زوجها . واقتنع المحقق المحلي في أسباب الوفاة بأن الجثة كانت جثة كراب . ثم نشرت صحيفة ألمانية اعترافاً مزعوماً لبحار روسي ، بأنّ كراب كان محتجزاً في أحد سجون موسكو . وقيل في مقالات أخرى بأن رجل الضفادع قد انشق لصالح روسيا ـ وعندما ظهرت صورة بعض البحارة السوفييت في صحيفة تصدر في موسكو ، تعرفت أرملة كراب وأحد زملائه في زمن الحرب على أحد الرجال وقالا بأنه كان كراب .

لكن وضح من البداية بأن السخط السوفييتي على محاولة التجسس المتهوّرة لم يكن كما بدا في باديء الأمر . إذ ذَكر الفريق الروسي رؤية رجل ضفادع بالقرب من سفنهم عندما كانوا يتناولون وجبة الغداء في الأدميرالية في مساء ١٩ نيسان . وأذاعت إذاعة موسكو بأن الغطّاس (الغواص) كان ميتاً من قَبْل إعلان الحكومة البريطانية عن احتمال وفاته . ثم أخبر المنشق أناتولي غوليتسين الإستخبارات المركزية الأمريكية ، في عام ١٩٦٣ ، بأنّ الإستخبارات السوفييتية قد عرفت سلفاً عن سباحة كراب ، وأنّ رجال الضفادع الروس كانوا بانتظاره في حجيرة خاصة في جانب السفينة تحت خط الماء المرسوم على السفينة .

وطالما أن هناك شكوك تحوم حول مصير كراب لدى الرأي العام ، يَظَلُّ

بإمكان موسكو أن تتلاعب بالإحراج البريطاني لأغراض الدعاية . وساعد إعراض وايتهول عن تصفية الأجواء المتعلقة بالعملية الفاشلة ، التي تم تنفيذها دونما موافقة رسمية ، على تشويه سمعة الغطاس بتلميحات عن الخيانة . وفي الواقع ، فمن المؤكد تقريباً بأن باستركراب قد مات كما عاش ـ كبطل . وبعد (٢٠) عاماً ، لقي بطل بريطاني آخر مصرعه أثناء قيامه بمهمة سريّة ، وقدّرت السّلطات شجاعته رسمياً في نهاية الأمر .

روبرت نايراك : البطل الوحيد

يُعتبر فوج القوى الجويّة الخاص القوّة القاتلة الرئيسية في بريطانيا . وقد ساعدت الإنتصارات في مهمات بدت مستحيلة ، كإنهاء الحصار على السفارة الإيرانية في لندن في شهر أيار من عام ١٩٨٠ ، على خلق هالة عن قوة لا تقهر مؤلفة من رجال مدربين بشكل ممتاز ، شعارهم : الجريء يكسب . أوجد دافيد ستيرلينغ هذا الفوج أثناء الحملات على شمال أفريقيا خلال الحرب العالميّة الثانية للقيام بشن هجمات جريئةخلف خطوط العدووكانت خطوة صغيرة للإنتقال من العشوائية في العمل إلى عالم المراقبة والعداء التجسسي عندما انقطع سلام ما قبل الحرب بالعدوان الإستعماري وتعلّم فوج الإستخبارات الجوية جميع خدع التجارة التجسسية في أدغال ماليزيا وبورنو وعَدَن . وعندما اندلعت أعمال عنف عشوائية في أولستر بعد عام ١٩٦٩ ، وتم استدعاء رجال الأمن السري للمساعدة في إنشاء وكالات استخبارات أكثر تطوراً وتسريب معلومات أخرى وإيقاف إراقة الدماء . فأصبحوا أكثر الأعداء الذين يخشاهم الجيش الجمهوري الايرلندي ، خصوصاً في «بلد العصابات المسلّحة» في جنوب آرماه . ولعبوا دوراً بارزاً في التقليل من نسبة الموت بشكل دراماتيكي ـ وذلك بإبقائهم لمراقبين ليليين على سفوح الجبال ، والقيام بدورات بالملابس المدنية لجمع الشائعات من السكان المحليين ، وشن حرب نفسية على الإرهابيين باستمرار . لكنّ انتقام الجيش الجمهوري الإيرلندي كان رهيباً في عام ١٩٧٧ .

كان الكابتن روبرت نايراك ، البالغ من العمر ٢٩ عاماً ، ضابطاً في فصيلة الحرس العسكري ، و«المتطوّع لنشر السلام في أيرلندا» بنظر عائلته . لكن في

السر ، كان ابن جراح العيون والحاصل على شهادة البكالوريوس من ستونهاوس في غلوسترشاير أحد رجال الإستخبارات الجويّة السريين . وقد اختار العمل في الإستخبارات عام ١٩٧٤ ، بعد خمس سنوات من تطوّعه في الجيش ، وقد تدرب ليصبح عميل تجسس لدى الإستخبارات الجوية والإستخبارات العسكرية في بريطانيا .

وقد عَمِلَ لشهور طويلة في المنشآت اللندنية وارتاد حانات رخيصة في مُدُن كيلبورن وكامْدِنْ ، حيث قام بمراقبة العمال الإيرلندي المولد ، وقلّد طريقتهم في الحديث لإخفاء لهجته الواضحة التي تعلمها من خلال دراسته في كلية آمبلفورث وجامعة يوركشاير وأوكسفورد وكلية ساندهورست العسكريّة .

كما كان بإمكانه أن يستقر في عمل إحتفالي هادىء كحارس على قصر بكنغهام والإنتظام في الأرتال العسكرية مع حملة الأعلام مثلاً ، لكنّ نايراك كان يريد أن يخدم في عمل أكثر خطورة . ففي البداية تمركز مع فصيلة الحرس الثانية في بلفاست ، حيث كان يقوم بدوريات على مناطق شانكهيل البروتستانتية وآردوين الكاثوليكية . وعاد أحد زملائه بذاكرته للماضي قائلاً :

«لقد أصبح خبيراً بعصابات الفيانا ـ وهم الشبان الكاثوليكيين الذين يُعتبرون أرضية الإمداد للجيش الجمهوري الإيرلندي ـ والتارتان اللتان تمدّان مختلف المنظمات الشبه عسكرية البروتستانتية . وكان معروفاً ومحترماً في منطقة آردوين ، وباستطاعته آنذاك أن يطلق حشداً معادياً مؤلفاً من مئات عديدة من الأفراد بكلمات قليلة يقولها لقادة الحلقات . وكسب تأييد غالبية السكان المحليين ببحثه في المشاكل التي كانوا يعانون منها وإجبار السلطات المحلية من ثمَّ على إيجاد حلول لها» .

كانت تلك خدعة تجسسية تقليدية «قلباً وقالباً» الهدف منها عَزْلُ الإرهابيين .

تم إرسال نايراك فيما بعد إلى البلاد الحدودية التي يسيطر عليها الجيش الجمهوري الايرلندي ، وهي أكثر المناطق في أيرلندا الشمالية خطورة بالنسبة لقوات حفظ الأمن . وقد أدهش السكان المحليين بتملقه المختلف عن أسلوب الجواسيس الماكر ، إذ كان يتصف بمزيج جريء من التملّق والفتنة . أثناء عمله الرسمي وخارجه ، قام بالإتصال بالأفراد في الأماكن الشعبية وشارك في إنشاد

الأغاني والأناشيد الجمهورية . وقال لأولئك الذين توددوا إليه بأنه كان من منطقة الأردوين ، وقد انضمّ للجيش بعد أن أحرقت عصابة إجرامية من البروتستانت منزل والدته . كما أكسبته تلميحاته المتعاطفة مع الكاثوليكيين وطبيعته المتحررة ثقة واحترام العديد ممّن لم يجرؤوا على التعبير علانية عن قلقهم من القتل المستمر ، وأنشأ شبكة من الإتصالات من الأفراد الذين كانوا مستعدين لتزويد السلطات بالمعلومات السرية عن الطريق الذي كان يتم من خلال تهريب الأسلحة والمتفجرّات إلى أولستر من جمهورية أيرلندا .

في ليلة ١٤ نيسان ١٩٧٧ ، غادر مقرّه في بيسبروك، قرب مصنع للكتّان ، وقاد سيارته الحمراء إلى حانة الثلاث خطوات في دروميتري قرب فوركهيل جنوبي أرماه . كان قد مر إلى هناك في الليلة السابقة ، لكنه لم يَبْق طويلاً بعد أن تناول كأساً من البيرة . ومشى ثانية إلى البار بعدما قام باتصال تفقدي روتيني للقاعدة في الساعة ٢١,٥٠ مساء من جهاز اللاسلكي الموجود في سيارته . وكان متوجباً على عملاء الإستخبارات القيام باتصالات أمنية في مواعيد ثابتة كل (٩٠) دقيقة . لكن نايراك لم يتصل ثانية على الإطلاق .

كانت ليلة يوم السبت والحانة مزدحمة . وكانت الفرقة التي تعزف الموسيقى الريفية والغربية تستقطب اهتمام غالبية الموجودين ، لكنّ نايراك كان منهمكاً في حديث مع رجلين خلف إحدى الطاولات ، وربما كان يحاول اقتفاء أثر أولئك المسؤولين عن التفجير في محاولة لاغتيال السفير البريطاني كريستوفر إيوارت ـ بيغز في مدينة دبلن قبل عدة أشهر . ولما حان وقت إغلاق الحانة ، غادر مع الرجلين ، ولحق بهم آخرون لم ير نايراك بعدها مرّة ثانية .

كان الخيط الأول في قضيته سيارته المهجورة التي وجدت في ساحة الحانة . كان زجاج نوافذها محطماً ، وقد تم انتزاع هوائي جهاز اللاسلكي ، والمرآة الجانبية مكسورة . وتبعثرت في داخلها المفاتيح والسجائر وأغراض شخصية أخرى . كما كانت هنالك أدلة أخرى دامغة عن صراع عنيف ـ إذ تمت متابعة نقط الدم ١٨ م (٢٠ ياردة) على الطريق حتى الحدود الجنوبية على بُعْد ٤,٨ كم (٣ أميال) .

وقادت المعلومات التي قالها راكبي دراجتين ناريتين ، رجال التحري حقل قرب غابة رافنسدايل في الجمهورية ، حيث وجدت بقع دم أخرى مع جدائل شعر

بشري . وأثبتت الإختبارات بأنها كانت لنايراك ـ لأن دمه كان من فصيلة نادرة توجد لدى شخص واحد من كل ٥٠٠ في أولستر . ثم أعلن الجيش الجمهوري الإيرلندي بأنهم استجوبوا رجل الإستخبارات الجويّة وأعدموه .

أحاطت السريّة دوماً بجنود الإستخبارات الجوية ونشاطاتهم حتى أن الأوسمة كانت تُمنح دون تسمية مستحقيها . وقد أنكرت السلطات بشدّة في باديء الأمر أن يكون نايراك عميلاً للاستخبارات الجويّة . لكن عندما طوق رجال الشرطة في أولستر قتلته ، ظهرت القصة الحقيقية لبطولة الحارس العسكري . فَحُكم بالسجن مدى الحياة على ليام تاونسون البالغ من العمر ٣٤ عاماً ، بعد أن اعترف بأنه قد تم استدعائه من حانة في داندولك ، وقيل له : «يوجد عمل يجب القيام به ، وستحتاج لملابس ثقيلة» . وتمّ أخذه بسيارة إلى غابة رافنسديل ، حيث التقط سلاحاً من مكان مخفي في جدار قرب الحدود على الطريق . ووجد نايراك بين أيدي سبعة من الرجال على الأقل ، وقد قاموا بتعذيبه في محاولة لاستخلاص المعلومات منه . وعندما دفعهم وحاول الهرب ، تلقى ضربة بهراوة خشبية ألقته أرضاً . وقال تاونسون : «لقد كان جندياً شجاعاً ، ولم يخبرنا بشيء» .

وألقي خمسة رجال آخرين ـ أحدهم في السابعة عشرة من عمره ـ في السجن بسبب اشتراكهم في إختطاف وقتل الكابتن الشجاع ، بينما فرَّ ثلاثة آخرين ـ بما فيهم الشخص الوحيد المُعْتَقَدْ بأنّه يعرف أين تمّ إخفاء جثة نايراك ـ هاربين عبر الحدود قبل أن يستطيع رجال الشرطة الوصول اليهم والتحقيق معهم . ولم يعرف مكان الجثّة مطلقاً .

ذهب والدا نايراك وأخته الى قصر باكينغهام في الأول من أيار عام ١٩٧٩ لاستلام أعلى وسام لدى الأمة يُمْنح للبسالة في زمن السلم من الملكة ـ ميدالية الملك جورج . وامتدح الخطاب الذي ألقي في هذه المناسبة أعماله المُشرّفة التي قام بها خلال أربع جولات عمل قام بها في أولستر وبلغ مجموعها ٢٨ شهراً ، فكان هذا أول اعتراف رسمي بأن الكابتن كان مشاركاً بالعمل السري مع الإستخبارات الجويّة .

وجاء بعدها التأكيد بأن سبعة رجال على الأقل قاموا باختطافه في درومنتري ، «رغم المقاومة الشديدة» واقتادوه عبر الحدود ، حيث :

«تمّ إخضاعه لسلسلة من الإعتداءات الوحشية بالضرب المبرّح في محاولة لاستخلاص معلومات كانت ستهدد حياة الآخرين وتعرّض العمليات المستقبلية للخطر . وقد فشلت هذه الجهود لتحطيم إرادة نايراك . ورغم أن قواه خارت ، إلا أن عزيمته بقيت صلبة ، وحاول مراراً الهروب ، لكنه كان يصطدم بقوّة خاطفيه وكثرة عددهم .

وبعد عدة ساعات أمضاها بين أيدي معتقليه ، تمّ اغتيال الكابتن نايراك بقسوة على يد مسلح من الجيش الجمهوري الإيرلندي ، والذي تمّ استدعاؤه لمسرح الأحداث ليقوم بالقتل . وأظهرت شجاعة الكابتن نايراك الاستثنائية وأعماله البطولية في ظروف الخطر الشديد تفانياً في أداء الواجب وشجاعة شخصية لا مثيل لها» .

وإن كان قادة الجيش الجمهوري الإيرلندي قد تمنوا أن يكون هذا الإعدام الذي نفذوه رادعاً لجواسيس آخرين ، فقد كانوا مخطئين . ففي أيلول من عام ١٩٨٠ ، تمّ الكشف عن أن جاسوساً يعمل بين أفراد الجيش الجمهوري في جنوبي أرماه قد سرب معلومات عن مخابيء الاسلحة من رجال الشرطة . وقال متحدث رسمي باسم الشرطة العسكرية الملكية في أولستر : «لقد وضعت قوى الأمن الجنوبية يدها على متفجرات منتشرة على طول الحدود أكثر بكثير من تلك التي ضبطتها خلال العشر سنوات الماضية . وفي عام ١٩٨٣ ، ألقت قوات الأمن في إيرلندا الشمالية على مجموعة من الإيرلنديين الذين أدت معلوماتهم إلى حملة اعتقالات واسعة النطاق . ورفض أحدهم أن يسحب دليل إدانة قدّمه حتى بعد أن تمّ احتجاز والده وأخته الصغيرة وزوجته كرهائن . ولشدة الدهشة ، فقد تمّ إطلاق سراح الأسرى الثلاثة دون أن يصابوا بأذى . فكان هذا دليلاً على أن قادة نايراك كانوا يربحون الحرب النفسية ، وأن مصرع الجاسوس ، الذي اغتيل بوحشية ، لم يذهب سُداً .

ادّعى الرئيس الكوبي فيدل كاسترو بأن الإستخبارات المركزية الأمريكية حاولت اغتياله أكثر من ٦٠ مرة ، وقيل بأن المؤامرات قد تضمنت صندوق سجائر مسمّمة وشراب الحليب بالشوكولاته المحتوي على سمّ بطيء التأثير . وقد فشلت المحاولة الأخيرة لأن الشراب تجمّد في الثلاجة .

أرعب المسلّح التركي محمد علي آغـا العالم في ١٣ نيسان ١٩٨١ . عندما أطلق النار على البابا جان بول الثاني في ساحة القديس بطرس في روما . وشفي البابا الشهير بعد أن أُجريت له عملية جراحيّة ، لكن آغـا ؛ الذي كان متجهماً وصامتاً في البداية ، قدم صدمات أخرى . فادعى بأن رجال الإستخبارات البلغارية قد ساعدوه في محاولة الإغتيال ـ وقال بأنهم كانوا يعملون بناء على تعليمات الإستخبارات الروسية ، التي أرادت موت البابا لأنّه كان يرأس المنشقين في بلده الأصلي بولونيا . وصبَّ الناطقون الرسميون في موسكو وصوفيا تصريحات الاستهزاء من الإدعاءات المنسوبة اليهم ، وقالوا بأن آغـا كان يحاول تحويل الإنتباه عن الذين دفعوه لفعل ذلك . لكنّ رجال الشرطة اعتقلوا سيرجي أنتونوف ، الذي قيل بأنه كان بجانب آغسا أثناء إطلاق النار ، بعدما أعطى المُسلَّح وصفاً مفصّلاً لشقته في روما . وغادر اثنان من البلغار ، العاملين في روما تحت الحماية الدبلوماسية أثناء الهجوم ، المدينة عندما ذَكر آغا اسميهما أثناء التحقيق على أنهما متآمرين معه .

قيل بأنّ العلماء العاملين لدى الإستخبارات المركزية الأمريكية قد طوّروا سمّ المحار بشكل مميت بحيث تسبب قطرة واحدة تقع على الجلد سكتة قلبية على الفور ، ويتبخّر السمّ فيما بعد دون أن يترك أيّ أثر . وتضمنت أدوات الإستخبارات المركزية الأمريكية الأخرى صحن سجائر ينفجر عندما يتم إطفاء عقب السيجارة فيه ؛ فيقتل كل من يكون في نطاق ٣ أمتار (١٠ أقدام) ، وسيجار يحتوي على مسدس غاز الأعصاب ، ينطلق زناده عند ملامسة عقب السيجار ، ومسدس قاذف للسم مخفي في صحيفة مطوية يمكن حملها تحت الإبط ، ويطلق قذيفته عند ضغط الذراع .

قيل بأن القادة الروس كانوا مذعورين من منتجات مخابرهم التي تصنّع السموم السرية ، والمسماة كاميرا (الحجرة) . وقال أحد رؤساء الإستخبارات الروسية ذات مرّة : «إذا لمست شيئاً بالصدفة تكون جنازتك في اليوم التالي» . وقد رفض أعضاء المكتب السياسي في الحزب الشيوعي لسنوات عدّة مصافحة الغرباء لأنهم علموا عن الإبرة السامة التي يمكن إخفاؤها في الخواتم المحلاة بالماس ، والتي تحقن سموماً تؤدي إلى الموت بعد عدة ساعات .